بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن من نعمة الله علينا بهذا الدين القويم أن جعله سبحانه مباركًا على أهله؛ به تنتظم أمورهم وتجتمع كلمتهم ويلتئم شملهم ويتحد صفهم وتقوى شوكتهم، وبه تتحقق مصالحهم، وبه تندفع عنهم الشرور والآفات وتزول عنهم المحن والرزيَّات، محقِّقًا لهم السعادة والطمأنينة والتمكين والعز والقوة والمهابة والفوز والفلاح.

وليس شيءٌ من ذلك متحقِّقا لأمة الإسلام إلا بتمسك صادق واعتصامٍ جاد بحبل الله المتين ودينه القويم وصراطه المستقيم، وهذه وقفة مع حديثٍ عظيم ثابت عن رسولنا الكريم ﷺ يبين فيه الجادّة السوية والنهج السديد لانتظام مصالح المسلمين واستقامة أمرهم، ويحذّر من المسالك المنحرفة والطرائق المعوجّة التي لا يؤمن معها العثار ولا تجلب للمسلمين إلا الأضرار والأخطار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»[1].

وقد تضمّن هذا الحديث ثلاثة وصايا حكيمة يجدر بالمسلم أن يتأملها وأن يجدّ ويجتهد في تحقيقها وتطبيقها:

الوصية الأولى: السّمع والطاعة لولاة أمر المسلمين والنصح لهم وعدم الخروج عليهم ونزع اليد من طاعتهم والحذر من مفارقة جماعتهم؛ ومن خالف ذلك فمات مات مِيتة جاهلية. ولهذا يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدِّين بل لا قيام للدين إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأسٍ وأمير، ولا إمرة إلا بالسمع والطاعة، وولاة الأمر بإذن الله بهم تنتظم مصالح المسلمين وتجتمع كلمتهم وتُؤمَّن سبلهم وتقام صلاتهم ويُجاهد عدوهم، وبدونهم تتعطل الأحكام وتعمّ الفوضى ويختل الأمن ويكثر السّلب والنهب وأنواع الاعتداء وينثلم صَرْح الإسلام ولا يأمن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم. والواجب اتخاذ الإمارة دينًا

(١) (رقم/ ١٨٤٨).

وقربةً يُتقرَّب بها إلى الله مع النصح للولاة والدعاء لهم بالتوفيق والسداد والصلاح والعافية، والحذر من سبّهم والطعن فيهم وغِشهم، وقد ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «لا تَسُبُّوا أُمَراءَكم، ولا تَغُشُّوهم، ولا تَبْغَضوهم، واتقوا الله واصبِروا؛ فإنَّ الأمرَ قريبٌ»[2].

الوصية الثانية: التي تضمنها هذا الحديث العظيم: تحقيق الأخوة الإيمانية والرابطةِ الدّينية، والحذر من العصبيات المذمومة والتعصبات المحمومة والحميّات الجاهلية والعصبيات العِرْقية التي تمزق ولا تجمع وتشتّت ولا تؤلِّف وتفسِد ولا تصلح، ومن آثارها الوخيمة: نشوء القتال تحت رايات عُمِّية يُغضَب فيها لعصبة ويدعى إلى عصبة وينتصر لعصبة، ومن كان على هذا النهج فقُتل فقِتْلته جاهلية.

الوصية الثالثة: حفظ وحدة المسلمين ومراعاة حرماتهم والوفاء بعهودهم وعقودهم وعدم إخفار ذممهم والبعد عن الإضرار بهم وإيذائهم، ومن انحرف عن هذا السبيل المبارك وخرج على المسلمين يضرب بَرَّهم وفاجرهم ولا يتحاشى من مؤمنهم ولا يفي لذي عهد عهده فالنبي ﷺ منه بَرَاء؛

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (رقم/ ١٠١٥) قال الألباني معلقا عليه في «ظلال الجنة» (٢/ ٤٨٨): إسناده جيد.

ولهذا قال في الحديث: «فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ».

فما أعظم هذه الوصايا وما أشد حاجتنا إلى تطبيقها لتتحقق لنا الخيرية ولنأمن من الأخطار المحدقة والشرور المهلكة والعواقب الوخيمة.

ومن يتأمَّل هذه الوصايا المباركة والتوجيهات السديدة يدرك سوء حال وقبيح فعال الفئة الضالة والمجموعة المنحرفة ممن اتخذوا إخافة المؤمنين وإرعاب الآمنين وقتل المسلمين والمستأمنين وتخريب المساكن وتفجير الدور سبيلاً وطريقا ويزعمون أنهم يصلحون ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة:١٢].

أَفَمِنَ الإصلاح قتلُ النفوس المعصومة من الولدان والنساء والشِّيب؟! أوَمِنَ الإصلاح الخروجُ على ولي أمر المسلمين ونزعُ اليد من الطاعة وقتل رجال الأمن وتسفيه العلماء وتجهيل الفقهاء؟!، أوَمِنَ الإصلاح إتلاف الأموال المحترمة وتدمير الدور والمساكن؟! أوَمِنَ الإصلاح نقضُ العهود وإخفارُ الذمم وقتل المعاهدين والمستأمنين؟! هيهات وحاشى أن يكون هذا سبيل المصلحين.

فليستشعر كل واحد منا أنّ أَمْن البلاد مسؤولية الجميع؛ ولنحافظ على أمنه بمراقبة الله تبارك وتعالى وخشيته وتقواه

والإقبال على طاعته جلّ وعلا وحفظ أمره ونهيه، فهو جل وعلا الذي يؤمِّن الخائف ويهدي الضال ويهدي جل وعلا إلى سواء السبيل، وليحذر -ولاسيما شباب المسلمين- من الأفكار المنحرفة والسبل المعوجّة التي لا يترتب على وجودها إلا الأضرار الجسيمة والأخطار العظيمة التي تجر على أربابها وغيرهم الويلات.

وهذه دعوةٌ لعودةٍ صادقةٍ وأوبةٍ حميدةٍ إلى كتاب الله ﷻ وسنةِ نبيه محمّد ﷺ؛ فإن عزّ الأمة وسعادتها وطمأنينتها بلزوم كتاب الله وسنة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وما وجود أمثال هؤلاء الشُذّاذ إلا لمخالفتهم لكتاب الله وهدي محمد عليه الصلاة والسلام؛ فلم يجنوا بهذه المخالفات لكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام إلا هذه الأضرار التي نلمسها ونشاهدها بين وقت وآخر؛ أرواحٌ تهدر، ونفوس تزهق، ومؤمنون يروعون، وأموال تدمّر، وليس من وراء ذلك نتيجة إلا إيذاء عباد الله وانتهاك حرمات الله جلّ وعلا ومفارقة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. ومع كل هذه الشنائع يظن هؤلاء الآثمون أنهم مصلحون وهم في الحقيقة مفسدون ولكن لا يشعرون. ونسأل الله عز وجل أن يحفظ على أمة الإسلام أمْنها وإيمانها وإسلامها وسلامتها، وأن يهدي ضال المسلمين وأن يردهم إلى الحق ردّا جميلا، وأن يعيذنا من الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن.

www.al-badr.net

سلسلة التوحيد أولا 15

وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار المحجة

شارك في الدعوة إلى الله بنشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية